الموصول (الذي): دراسة تأصيلية مقارنة

د. محمود محمد الديكي*

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٠٨/١/٢٥ تاريخ القبول: ٢٠٠٨/١٠/٢٩

ملخّص

حاول الباحث في هذه الدراسة تحديد العناصر الصوتية الأصيلة في الموصول (الذي) وما ضُمّ له من عناصر صوتية أوصرفية، ودَرَس مسار تطوره إلى أن وصل إلى الصورة الّتي هو عليها في العربيـة الفـصيحة. وفـق منهجية مقارنة تعتمد النظر في بنية اللفظ ذاتها وما تشي به من عناصر صوتيّة أو صرفيّة، والنظر فـي أخـوات العربية من اللغات السّامية، وكذلك النظر في لهجات العربية في مراحلها المختلفة. وقد ناقش أنظار النحاة العـرب القدماء وآراء المستشرقين ومن تبعهم من المحدثين، وتوصّلَ إلى أن ما أورده المستشرقون لا يختلف عما جاء بـه نُحَاتُنا القدماء. وخلص في نهاية الدراسة إلى أن الموصول (الذي) مر بمراحل ثلاث إلى أن اسـتقر فـي العربيـة الفصيحة على الصورة التي هو عليها بعد أن تم إقصاء الموصول (ذو) الذي يظهر في لهجة طيئ.

الكلمات الدالة: الموصول، تأصيل، لغات سامية، دراسة مقارنة.

ABSTRACT
The Arabic Relative Pronoun(*'alladī*)(who):
A comparative Study

Mahmoud Mohammad Aldeeky

This study reveals the origin and development of Arabic relative pronoun (*'alladī*) by examining the internal structure of the pronoun including its phonetic and morphological elements, and by searching in other Semitic languages for phonetic elements common to the relative pronoun.The study has corered Arabic dialects , including both standard and colloquial Arabic ,and what has been recorded on relative pronouns by Arab grammarians and Orientalists.

The researcher has discussed the views of Arab grammarians and Orientalists and concluded that the Orientalists' views are not different from those of Arab grammarians. The research concludes that the relative Pronoun (*'alladī*) has gone through three stages and finally settled in the Arabic eloquent picture that is by having been linked exclusion (*dū*) that appears in the (ṭayʾ)dialect.

* قسم اللغة العربية، جامعة آل البيت.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

المقدمة

تحاول هذه الدراسة تحديد العناصر الصوتية الأصيلة في الموصول (الذي) وما ضُمّ له من عناصر صوتية أوصرفية، وتحديد مسار تَطَوّرُه إلى أن وصل إلى الصورة الّتي هو عليها في العربية الفصيحة. وذلك عن طريق النظر في بنية اللفظ ذاتها وما تشي به من عناصر صوتيّة أو صرفيّة، والنظر في أخوات العربية من اللغات السّامية، وكذلك النظر في لهجات العربية في مراحلها المختلفة.

١-١ :توطئة

يرى فندريس(Van Drijs) أن الأدوات النحوية الّتي تستعملها اللغات عامة، ومنها الضمائر ــ شخصيّة وإشارية وموصولة ــ ليست سوى بقايا كلمات مستقلة قديمة أُفرغت من معناها الحقيقي، واستعملت في اللغات مجرد موضحات، أي مجرد رموز[١].

ويرى هنري فليش(Henry flesh) أنّ هذه الضمائر ربما تأتي من اللغة الانفعالية، والعلاقة بين الضمائر الإشارية واللغة والانفعالية -ذات الصلة الوثيقة بالضمائر الموصولة- جد بينة. ويرى (فلش) أن الضمائر الإشارية تنتسب لأساس لغوي قديم يعسر تحديده، وغالبا ما تكون مركبة من عناصر عدّة. حيثُ إنها غالبا ما تكون مكوّنة من مقطعٍ واحد أو صوت واحد، ثمّ يتمّ ترميمها بإضافة عناصر صوتيّة أخرى، أو تركيبها مع عناصر إشارية أخرى[٢].

وتحدثُ التغييرات الصوتيّة والصرفيّة عادة إما للمحافظة على عنصر دلالي معين بالترميم، أو بالتركيب مع عناصر أخرى، وهذا ما يحدث كثيرا مع ضمائر الإشارة والموصول، أو بإقصاء عناصر صوتيّة معينة أو تغييرها في مرحلة ما من مراحل تطور اللغة، بغية التسهيل أو الاتساق والاطراد، أو الحاجة إلى التعبير بإضافة واستحداث عناصر صرفيّة جديدة، ذلك أن التصورات الذهنية والمعاني غير محدودة، والناطق يحاول جادا اختيار دوالّ لغويّة تفي بحاجته للتعبير، ووسيلته في ذلك اللغة. غير أنّ بعض التغييرات الصوتية والصرفية تبدو أحيانا اعتباطية يعسر تفسيرها، إذ تتدخل اعتبارات اجتماعية وبيئية في حدوثها.

يرى غير واحد من العلماء أن الضمائر الموصولة تطورت عن عناصر إشارية نتجت عن حركات الإرادة والانفعال في مراحل تكون اللغة الأولى؛ ولهذا نجدها تتقارب في معظم اللغات.

ومن أهم العناصر الإشارية الّتي نجدها في اللغة العربية:(ها، *hā*) الّتي تتحقق في ضمائر الإشارة وضمائر الغائب، و(ذَ، *dā*) في الإشارة والموصول، و(أل، *'al*) في التعريف والموصول، و(أُل ، *'ul*) في ضمائر الإشارة وغيرها، وهناك عدد كبير من المكملات الإشارية يتمّ بها ترميم الضمائر عامة، منها: النون، والتاء، والميم، واللام[٣].

يبدو واضحا أن ضمائر الإشارة والضمائر الموصولة ودوال التعريف ذات دلالات متقاربة؛ ولهذا نجدها تشترك في العناصر الإشارية ذاتها، وكثيرا ما نجدها تدور حول عنصر إشاري واحد[٤]. وهو أمرٌ بين ليس في اللغات

---

(١) انظر: فندريس، **اللغة**، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، مكتبة الإنجلو: ١٩٩٥. ص٢١٦.

(٢) انظر: هنري فليش، **العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد**، تعريب: عبد الصبور شاهين،بيروت المطبعة الكاثوليكية:١٩٦٦. ص١٦١-١٦٢.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص١٦٩،١٦٦-١٧١.

(٤) انظر: جرجي زيدان، **الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية**، بيروت ، دار الحداثة:١٩٨٢، ص١٢٦.

السامية حسب، بل في غير لغة من اللغات الهندوجرمانيّة، كما في الإنجليزية والفرنسية والألمانية. ففي الإنجليزيـــة ثمة ربط واضح بين أداة التعريف (the) والإشارة (that) والموصول (that).

١-٢: العلاقة بين التعريف والإشارة:

تبدو العلاقة واضحةً بين التعريف والإشارة. يرى فندريس أنّ أدوات التعريف في اللغـــات الّتـــي تحتـــوي أداة للتعريف، ليست إلاّ ضمائر إشارة قديمة ضعف معناها[١]، "فالتعريف ابن الإشارة ؛ لأن أبسط طريقة لتعريف أمـــر ما، هي الإشارة إليهِ، ومن ذلك (اليوم) الّتي تعني (هذا اليوم)"[٢].

١-٣:العلاقة بين الموصول والإشارة:

أمّا العلاقة بين الموصول والإشارة فهي من حيث الشكل جدُّ واضحة؛ وذلك اشتراكهما في العناصر الـــصوتيّة ذاتها. وقد أشار النحاة إلى بعض ضمائر الإشارة الّتي استعملت موصولة، من ذلك (هذا) في قول الشاعر:

عدس ما لِعبّادٍ عليكِ إمارةٌ نَجَوتِ وهذا تحملينَ طَليقُ[٣]

وكذلكَ (تلكَ) في قوله تعالى:﴿وَمَا تِلكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى﴾ (طه:١٧)، على أنّ (تلك) في الآية الكريمة بمعنى التي، ومنها (أُولاء) في قوله تعالى:﴿ قالَ هُمْ أُولآءِ عَلَى أَثَرِي﴾ (طه:٨٤)، حيث (أولاء) بمعنى (الّـــذين). وفـــي وقـــوع ضمائر الإشارة – جميعها أو بعضها– موصولة خلافٌ ذكره الأنباري[٤]. وإجازة استعمالها جميعها موصولة مذهب الكوفيين ووافقهم سيبويه في (ذا) إذا ضمّت إليها (ما)[٥].

١-٤:العلاقة بين الموصول والتعريف:

وعن العلاقة بين الموصول والتعريف، ذكر النحاة أنّ الموصول يقومُ بوظيفة التعريف في الجملة الواقعة نعتـــا لمعرفة،[٦]. غير أنني أرى أنّ دالة التعريف (أل) الداخلة على الصفة لا تقومُ بوظيفة التعريف، وإنما هي مطابقة مع الموصوف وحسب، ففي قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَطَ المُسْتَقِيْمَ﴾ (الفاتحة:٦) لا تقوم دالة التعريف (أل) الداخلة علـــى (مستقيم) بوظيفة التعريف، وإنما لمطابقة الموصوف (الصّراط).

---

(١) انظر: فندريس، **اللغة**، ص٢١٦.

(٢)جرجي زيدان، **الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية**، ، ص١٢٣.

(٣) البيت ليزيد بن مُفَرِّغ الحميري. **مـــن شـــواهد الإنـــصاف فـــي مـــسائل الخلافـــة بـــين البـــصريين والكـــوفيين**، أبـــو البركـــات الأنباري(ت٥٧٧هـــ/١١٨١م)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، د.م، د.د، ١٩٨٣. ج٢،ص٧١٧.

(٤) انظر: أبو البركات الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ج٢،ص٧١٧.

(٥) انظر: هبة الله بن الشجري(ت٥٤٢هـــ، ١١٤٧م) **أمالي ابن الشجري**، تحقيق: محمود الطناحي، القاهرة، مكتبـــة الخـــانجي: ١٩٩٢. ج٢، ص٤٤٣.

(٦) انظر: ابن جني أبو الفتح عثمان(ت٣٩٢هـــ، ١٠٠٢م)، **الخصائص**، تحقيق: محمد علـــي النجـــار، بغـــداد، دار الـــشئون الثقافيـــة، ١٩٩٠.،٣٢٢/١، وابن السراج محمد ابن ابن سهل(ت٣١٦هـــ، ٩٢٩م)، **الأصول في النحو**، تحقيق:عبد الحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥،٢٦٢/٢، ورضي الدين الاستراباذي(٦٨٦هـــ، ١٢٨٧) **شرح كافية ابن الحاجب**، بيروت دار الكتـــب العلميـــة: د.ت. ٣٥/٢، وأبو البقاء العكبري(٦١٦هـــ، ١٢٢٠م) **إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقرءات**، تحقيق:إبراهيم عطوة، القاهرة، دار الحديث : ١٩٩٢ ،٧/١.

غير أنّ العلاقة بين الموصول والتعريف تأتي من منطلق آخر لمحه النحاة عندما تحدثوا عن (ال) موصولة لا معرّفة، وهي الداخلة على أسماء الفاعلين والمفعولين، أو الداخلة على الفعل في مثل[1]: (أنفُ الناقةِ اليجدَّعُ) أو الداخلة على الجار والمجرور في مثل: (من لا يزالُ شاكرا على المعه). ونجد في العبرية ما يشير إلى استعمال دالة التعريف(h) موصولةً كما في المثال الآتي: (בל ההקדיש שמואל) (أخبار الأيام الأول:٢٦: ٢٨) بمعنى (كلّ ما قدّسَ صموئيل). حيث دخلت (h)، وهي دالة التعريف في العبرية على الفعل (قدّسَ) لتؤدي وظيفة الموصول.

ويقوم الموصول بوظيفة التعريف العهدي في اللغات الّتي لا تحتوي دالة محددة للتعريف، كما في الرّوسية ومجموعة اللغات السلافيّة. ففي اللغة التشيكيّة يقولون:

(veděl jsi prodaváča?) (رأيتَ بائعًا؟) فإذا أراد أن يسأل عن بائع محدد يعرفه المتلقي قال:(veděl jsi toho prodaváča?) (رأيتَ هذا/ذلك بائع؟)، فإذا سأل المتلقي: أيٌّ بائع؟ أجاب:(prodaváča kterého jesme potkali?) أي : (بائعٌ الذي التقينا).

فالموصول يحيل على معروفٍ عهداً لدى المتلقي بمضمون صلته، وكذا (ال) التعريف العهدي في العربية.

مما تقدم يبدو أنّ الموصول لا يخرج عن العناصر الإشارية أو المعرفة المشتركة بين الإشارة والتعريف والموصوليّة . فما هي العناصر المكونة للموصول (الذي) في العربية؟

٢-١:آراء النحاة العرب:

أشار الخليل بن أحمد إلى أنّ (الّذي) تعريفٌ لاسم الإشارة (ذا) وأنه ليس في ضمائر الإشارة عنصر أصيل غير (الذال)، وأن الألف في (ذا) زائدة، فلما دخلت (ال) على (ذا) قُصّرت الألف في (ذا) وقوّيت اللام بلامٍ أخرى[2].

ويمكن تلخيص التحولات الّتي أشار إليها الخليل على النحو الآتي:

ذ + ا ← ذا (ضمير إشارة) $\underline{d}+\overline{a}\longrightarrow \underline{d}\overline{a}$

ال + ذا ← *الْذا ←بتقصير الألف← *الْذَ ← بإضافة لام للتقوية ← *اللْذَ ⇐ الّذي

$$'al+\underline{d}\overline{a}\rightarrow *'al\underline{d}\overline{a}$$

$$*'al\underline{d}\overline{a}+l\rightarrow *'all\underline{d}\overline{a}\Rightarrow'alla\underline{d}\overline{i}$$

غير أن الخليل كما هو واضح لَم يشر إلى التغيرات الصوتية الأخرى الّتي حدثت حتّى أصبح الموصول على صورة(الّذي).

ولمثل رأي الخليل، ذهب الكوفيون، فأصل (الّذي) و(ذا) في الإشارة عندهم هو (الذال) وحدها، أما (الياء) في (الّذي) و(الألف) في (ذا) فتكثيرٌ لهما، كراهية أن يبقى الضمير على حرفٍ واحد، ثمّ أدخلت(أل) التعريف، ثمّ زيدت (لامٌ) أخرى ليسلم سكون لام التعريف[3]. وذلك على النحو الآتي :

---

(١) انظر: هذين المثالين ومزيداً من الأمثلة: عبد الحميد الأقطش، أل الزائدة في أبنية الأسماء العربية، **أبحاث عربية**، إعداد:هشام الأيوبي، طرابلس، دار برس:١٩٩٤، ص١٤٨.

(٢) انظر: الخليل بن أحمد(١٧٣هـ/٧٨٩م) **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، القاهرة، دار ومكتبة الهلال،: د.ت، باب اللفيف من (ذا).

(٣) انظر: الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ج٢، ص٦٧٠.

ذْ + ي ← ذِي $\quad\quad$ $\underline{d} + \bar{\imath} \rightarrow \underline{d\bar{\imath}}$

ال + ذِي ← *الْذِي $\quad\quad$ $'al + \underline{d\bar{\imath}} \rightarrow *'al\underline{d\bar{\imath}}$

*الْذِي + لَ ← اللَّذِي (الَّذِي) $\quad\quad$ $*'al\underline{d\bar{\imath}} + la \Rightarrow 'alla\underline{d\bar{\imath}}$

ويرى الفرّاء أن أصل (الّذي) (ذا) وهو ضمير إشارة، دخلت عليه (أل) التعريف ثمّ حوّلت (الألف) إلى (يـــاء)؛ ليفرّق في الإشارة بين الحاضر والغائب[١].

أما البصريون فقد ذهبوا مذهب سيبويه في أن أصل (الّذي) (لَذي)، حروفها كلها أصلية[٢]، دخلت عليهـــا (ال) التعريف:

ال + لَذِي ⇐ الَّذِي $\quad\quad$ $'al + la\underline{d\bar{\imath}} \Rightarrow 'alla\underline{d\bar{\imath}}$

ولمثل ذلك ذهب ابن السَّراج، فأصل (الّذي) عنده هو (ل ذ ي) فهذا هو الموجود "وليسَ لنا أن ندفع الموجود إلاّ بالدليل الواضح والحُجَّة البينة"[٣].

أما (السهيلي)، فيرى أنّ العنصر الأصيل في المبهمات (ضمائر الإشارة والموصول) هو (الذال) وحدها، وقـــد اختيرت من بين باقي الأصوات لأنها من طرف اللسان، والمبهم مشار إليهِ بالجوارح، أي باليد أو اللحظ أو اللسان، والعمدة في الإشارة في هذا الموطن على اللسان، وبما أنه ليس في الأصوات ما فيه سمة (الذال) غيـــر (الثـــاء) إلاّ أنها صوتٌ مهموس، فلا يبقى إلاّ (الذال) لتؤدي هذه الوظيفة[٤]. ويرى أن أصل (الّذي) هو (ذو) الّتـــي اســـتعملت لوصف النكرات بالأجناس كقولنا: هذا رجلٌ ذو مالٍ. ثمّ استعملت (ذو) لوصف المعارف بالجمل، كما هي الحال في لهجة طيّئ: (وبئري ذو حفرتُ وذو طويتُ)، ثمّ إن العرب لما رأته يصف معرفة أضافت إليهِ (ال) للمطابقـــة بـــين الصفة والموصوف، فلما انفصل (ذو) عن الإضافة قُلبت (الواو) (ياءً)، لأنه ليس في كلامهم (واوٌ) متطرفة مضمومٌ ما قبلها. وحيث إن (الذال) صوتٌ شمسي فإنّ (لام) التعريف لا تلفظ معه، وحفاظًا على بقائها شُدِّدت[٥]:

ذ + و ⇐ ذو $\quad\quad$ $\underline{d} + \bar{u} \Rightarrow \underline{d\bar{u}}$

ال + ذو ← *الْذُو ← *الَذِّي ← بتشديد لام التعريف ⇐ الّذي

$'al + \underline{d\bar{u}} \rightarrow *'a\underline{d}\underline{d\bar{u}} \rightarrow *'a\underline{d}\underline{d\bar{\imath}} \Rightarrow 'alla\underline{d\bar{\imath}}$

٢-٢: آراء المستشرقين:

ظهرت في العصر الحديث آراء عدّة على أيدي المستشرقين ومن تابعهم من العرب المحدثين، وقد أيّـــد فريـــق منهم وجهة نظر النحاة العرب القدماء، وعلى رأسهم بروكلمان(brockelmann)، حيث أشار إلى أن ضمائر الإشارة والموصول في اللغات السامية تدور حولَ عنصر إشاري واحد هو (الذال)، أما (الذي) فقد نـــتج عـــن دمـــج (ال) التعريف مع هذا العنصر، وإضافة (اللام) المؤكدة[٦].

---

(١) انظر: أبو القاسم الزجاجي(ت٣٤٠هـــ، ٩٥٢م)، **كتاب اللامات**، تحقيق: مازن مبارك، دمشق، المطبعة الهاشمية:١٩٦٩. ص٢٨.

(٢) انظر، الأنباري: **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ج٢، ص٦٧٠.

(٣)ابن السراج، **الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة١٩٨٥، ج٢، ص٢٦٣.

(٤) انظر: أبو القاسم السهيلي (ت٥٨١هـــ، ١١٨٦) **نتائج الفكر في النحو**، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، الرياض، دار الرياض: د.ت. ص٢٢٧.

(٥) انظر: **المصدر السابق**، ص١٧٧-١٧٩.

(٦) انظر: بروكلمان كارل، **فقه اللغات الساميّة**، ترجمة: رمضان عبدالتواب، مطبوعات جامعة الرياض، د.ت ص٩١.

وقد تابعه في ذلك وليم رايت (William Wright)، الذي أشار إلى أن (ال) المستعملة في (الّذي) تستعمل موصولة كما في (من القوم الرسول الله منهم)، وقد أضيفت إلى (ذو) الّتي تستعمل ضميرا موصولا في الطائيّة، ثمّ أضيف عنصر إشاري آخر هو (اللام) الّتي تظهر في (ذلك)[١]:

ولا يختلف رأي برجشتراسر (Bergsträsser) عن رأي (بروكلمان) و(رايت) إلاّ في قوله إن (الّذي) نتج عن دمج دالة التعريف مع ضمير الإشارة (ذي)، وهو ضمير الإشارة للمفرد المذكر وإضافة (لام) للتأكيد، وهو يعادل في العبرية (*hallāze*) المستعمل ضمير إشارة بمعنى (هذا)[٢].

ولمثل ذلك ذهب هنري (فليش)، حيث تتحلل (الّذي) عنده إلى (ال) و(ل) و(ذي)، وأصلها الإشاري هو (الذال) في أغلب اللغات السامية، أما (الّذي) فهو من خلق العربية[٣]. وقد قال بذلك (مسكاتي)(*Moscati*)[٤].

ويمثّل برافمان (Bravmann) ورابين (Rubin) رأي فريق آخر من المستشرقين فقد أصّل برافمان (الّذي) معتمدا على الموصول العامي (هَلّي، *hallī*) الّذي يستعمل في أغلب اللهجات العربية المعاصرة، وعلى ضمير الإشارة العبري(*hallāzeh*) الّذي يستعمل موصولا أحيانا. ويرى أن (الّذي) نتج عن طريق دمج ثلاثة عناصر إشارية هي: (هذا) ضمير الإشارة المستعمل للمفرد المذكر، و(ذي) وهي العنصر الموصولي الأصيل المستعمل في السريانية ولهجات الآرامية الأخرى، والّذي يختزل أحيانا إلى (الذال) وحدها، وأداة التعريف (ال) نوعاً من المطابقة مع المرجع الموصوف، الأمر الّذي تمليه قواعد العربية، حيث المطابقة بين الصفة والموصوف في التعريف والتنكير كما في: (الرّجل الحسن). ثُمّ اختزلت (ذا) من ضمير الإشارة (هذا) وحذفت، ثُمّ أُبدلت (الهاء) (لامًا) نوعاً من المماثلة مع الـ (لام) في (ال) التعريف، كما يحدث كثيراً في اللغات السامية، وخاصة في العبرية والآرامية، فتتحول (الهاء) لتطابق الصوت الّذي قبلها فيشدد[٥]. تماما كما يحدث مع (ل) في أداة التعريف العربية مع الحروف الشمسيّة.

ويمكن تلخيص رأي برافمان بالمعادلات الآتية:

$$h\bar{a}\,\underline{d}\bar{a} + \underline{d}\bar{i} \rightarrow *h\bar{a}\,\underline{d}\bar{a}\,\underline{d}\bar{i}$$

$$*h\bar{a}\,\underline{d}\bar{a}\,\underline{d}\bar{i} + al \rightarrow *'alh\bar{a}\,\underline{d}\bar{a}\,\underline{d}\bar{i}$$

$$\rightarrow *'alh\bar{a}\,\underline{d}\bar{a}\,\underline{d}\bar{i} \rightarrow \text{بالاختزال } *'alh\bar{a}\,\underline{d}\bar{i}$$

وذلك بتحول (h) إلى (l) / $*'alh\bar{a}\,\underline{d}\bar{i} \rightarrow *'all\bar{a}\,\underline{d}\bar{i}$

بتقصير الحركة/ $*'all\bar{a}\,\underline{d}\bar{i}$ 'alla$\underline{d}\bar{i}$ $\Rightarrow$

أما رابين فيؤصّل (الّذي) بطريق آخر، وهو يخالف المستشرقين جميعهم، في أن أصل (الّذي) نتج عن دمج ثلاثة عناصر إشارية، ولا يرى أن (ال) في (الّذي) هي ذاتها دالة التعريف أُقْحِمَتْ (لامٌ) بينها وبين (ذي)[٦].

---

(١) انظر: W.Wright, **Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic languages**, Amsterdam ,PhiloPress.p:117.

(٢) انظر: برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، أخرجه رمضان عبد التواب،القاهرة مكتبة الخانجي: ١٩٨٢. ص٨٦.

(٣) انظر: هنري فليش، **العربية الفصحى**، ص١٧٢.

(٤) انظر: Moscati & others **An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages** ,p:١١٤.

(٥) انظر: Bravmann ,**Studies in Semitic Philology**, Leyden, Brill:1977,p:188.

(٦) انظر:رابين، **اللهجات العربية الغربية القديمة**، ترجمة:عبد الرحمن أيوب،الكويت، منشورات جامعة الكويت:١٩٨٦،ص٢٨٠

يرى (رابين) أن (الّذي) نتج عن دمج عنصرين إشاريين، كما حدث في(*hallāzeh*) العبرية بمعنى (هـذا)، و(*'illazīh*) الأمهرية بمعنى (هؤلاء). وكما حدث في (*hādōla*) في اللهجات العربية الدارجة وهو ضمير الإشارة الخاص بالجمع مذكرا أو مؤنثا.

فمن المحتمل -كما يرى رابين- أن العربية قد استعملت (*'ullā'i*) ضميرا موصولا محايدا، ثمّ تحولت إلى (*'ullai**) أو (*'ullā*) في بعض اللهجات، وعند وقوع هذا اللفظ بعد لفظ محرك الحرف الأخير فيه (في الوصل) تصبح (*llai*) أو (*llā*) ثمّ قصرت الحركة الأخيرة، فأصبح اللفظ في شعور المتكلمين على حرفٍ واحد؛ ولذا تمّ ترميمه بإضافة ضمير الإشارة (ذا) بعد أن صار (ذي) فأصبح (*lladī*) ومع همزة الوصل، لأن الحرف الأول ساكن، تنطق (الّذي)[1]:

'ulla' → 1)*'ullai*

2)*'ullā* → *'ulla* → *lla*

lla + *dī* → *lladī* ⇒ *'alladī*

٢-٣:منتهى القول:

إن النظر في الجدول رقم(١) الّذي يمثل توزيع بعض الضمائر الموصولة في بعض اللغات السامية، وفي الجدول رقم(٢) الذي يمثل توزيع بعض الضمائر الموصولة في بعض اللهجات العربية القديمة، يعطينا تصورًا للضمير الموصول وتطوره في اللغة العربية.

جدول رقم (١)

الضمير الموصول في بعض اللغات السامية[2]

اللغة	مذكر	مؤنث	جمع
العربيّة الفصيحة	*'alladī*	*'allatī*	*'alladīna*
الآرامية	*dī* *zī*	*dā*	
السريانية	*d* *de / di*	*di*	*di*
العبرية	*zū* *'aser*	*zē / zot* *'aser*	*'ēl / 'ellē* *'aser*
لغات الحبشة	*dī* *zā / zī / zi'a* *ya*	*'enta*	*'ella*
العربية الجنوبية	*d / dū / dm* *d*	*dt / dtm* *dt*	*'lw / 'l / 'lī* *d*
الصفوية والثمودية واللحيانية	*dū*	*dā*	
النبطية	*dī*	*dī*	*dī*

(١) انظر: رابين، **اللهجات العربية القديمة**، ص٢٨٠-٢٨١.

(٢) انظر حول هذا الجدول: بروكلمان، **فقه اللغات السامية**،ص٩١. ورابين، **اللهجات العربية الغربية القديمة**، مواطن متفرقة. وبرجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، ص١٨١-١٨٢.

وانظر: Moscati, **An Introduction to the Comparative of the Semitic Languages**, p:١١٤.

وانظر: O'leary, **Comparative Grammar of the Semitic Languages, Amsterdam, phlo press**:١٩٦٩ ,p:١٧٢

جدول رقم (٢)

الضمير الموصول في بعض اللهجات العربية القديمة(*)(١)

	مذكر	مؤنث	جمع
اليمن	*dī* / *'alladī*	*dī* / *'alladī*	*dī* / *'alladī*
عُمان	*dū*	*dū*	*dū*
الحجاز	*dū* / *'alladī*	*dū* / *'allatī*	*dū* / *'alladīna* / *'allā'ī* / *'allā'ūn*
هُذيل	*'alladī* / *'allad*	*'allatī* / *'allat*	*'alladūn* / *'allā'idūn*
طيّئ	*dū*	*dū* / *dāt*	*dū* / *dawū*

من استعراض الجدول رقم(١)، الّـذي يمثل الضمير الموصول في بعض اللغات السامية الغربيـة الـشمالية، والغربية الجنوبية؛ يتضح أنها تشترك في عنصر إشاري واحد هو (الذال) في العربية الشمالية والجنوبية، أو (الدّال) في الآرامية ولهجاتها، أو (الزّاي) في العبرية وبعض لغات الحبشة كالأمهرية. ويبدو أن اللغة الـسامية الأم كانـت تستعمل صوتًا واحدا عنصرًا إشاريا، وبما أن الصوت الّـذي تسمح قوانين الإبدال الصوتي في اللغات السامية بأن يتحول إلى (الزاي) أو (الدال) هو (الذّال) وليس العكس، فمن المرجح أن العنصر الأصيل في الضمائر الموصـولة هو (الذّال).

أما الحركة الّتي تلي هذا العنصر فإنها تختلف من لغة سامية إلى أخرى وكذلك الحال في اللهجات العربية. فهي في الآرامية ولهجاتها والنبطية، وفي لغات الحبشة كالأثيوبية والأمهرية بالكسرة خالصةً أو ممالةً، قصيرةً أو طويلة، وكما هي الحال في اللهجات العربية القديمة عند هذيل وفي اليمن والحجاز، وكما تظهر في (الّذي). غير أنها فـي العبرية والصفوية والثمودية وفي وسط الجزيرة العربية وغربها تظهر ضمّة طويلة (*dū*). أما في المؤنث فتظهـر الحركة فتحة طويلة، أو كسرة طويلة خالصة أو ممالةً.

ويرى رابين أن (ذو) و(ذي) كانتا تتقاسمان الجزيرة العربية، حيث تشيع (ذو) في غـرب الجزيـرة العربيـة وجنوبها ووسطها، وترتبط بذلك مع الفرع الغربي الشمالي من اللغات السامية، حيث العبرية والكنعانية. بينما تـشيع (ذي) في الشمال والشرق وترتبط بذلك بالآرامية والنبطية(٢).

(*) أما في اللهجات العربية الدارجة، فالموصول الشائع هو (اللّي) مع اختلاف في حركة همزة الوصل بين الفتح والكسر، وقد تختـصر عند الوصل إلى اللام المشددة (لّ)، وقد تتحول الهمزة إلى الهاء (هَلّي)، أو الياء (يَلّي) وهي الصيغة الّتي تظهر في لبنان. وفي المغرب العربي تظهر الدال في بعض السياقات (ديال). أما الصيغة الأكثر لفتًا للانتباه فهي صيغة (اللّذ) الّتي تظهر في لهجة دبي وقـد ذكرهـا جونستون Johnston (**جونستون دراسات في لهجات شرقي الجزيرة**، ترجمة أحمـد محمـد الـضبيب ،بيـروت ،الـدار العربيـة للموسوعات:١٩٨٣، ص٢٦٢).

(١) انظر حول هذا الجدول: رابين، **اللهجات العربية الغربية القديمة**، مواطن متفرقة.

(٢) انظر: رابين، **اللهجات العربية الغربية القديمة**، ص٣٥٩.

E. **Littmann, Thamud und Safa, Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes**, xxv, 1, Leipzig 1940,p119

أما وجود (*dū*) في الصفوية والثمودية واللحيانية[١] فلعله يشير إلى علاقة هذه الشعوب بجنوب الجزيرة العربية وغربها، يشهد بذلك الخط الّذي تظهر به كتاباتهم، إذ يبدو أقرب ما يكون إلى خط المسند.

يبدو من الواضح أن الضميرين الموصولين: (ذي)، و(ذو)، كانا يختلطان كثيرا بضمير الإشارة (ذا) ومؤنثه (ذي). فيختص (ذي) بالإشارة، ويتفرغ (ذو) للموصولية. ومن المرجح أن (ذي) كانت تستعمل في مراحل أقدم لتؤدي وظيفة الموصول والإشارة، ثمّ نجد أن التطور يسير باتجاهات مختلفة في اللهجات واللغات السامية، فيميل بعضها إلى الضمّ وتميل الأخرى إلى الكسر. غير أن وجود (ذي) في مناطق لهجية مختلفة وكذا في لغات ساميّة، ووجودها في الصيغة المتطورة (الّذي) يرجح – نظريا – أن أصل ضمير الإشارة والضمير الموصول هو (ذي). أما الضمّ في (ذو) فربما مرّ بمرحلة الإمالة للكسرة الخالصة[٢].

هكذا يبدو الموصول في أغلب اللغات السامية الغربية، بفرعيها الشمالي الّذي يضم الآرامية ولهجاتها والكنعانية ولغاتها، والجنوبي الّذي يضم العربية الشمالية والعربية الجنوبية ولغات الحبشة.

أما (الّذي) فهو تطور خاص بالعربية نجد له نظيرا شكليا في (*hallāzēh*) العبرية، وفي (*'illāzī*) الأمهرية.

فهل كان (الّذي) نتيجة دمج عنصر التعريف (ال) مع العنصر الإشاري (ذي) كما ذهب إلى ذلك كثير من النحاة العرب والمستشرقين؟

يذهب الباحث إلى ما ذهب إليهِ (رابين) من أن (ال) في (الّذي) ليست هي أداة التعريف الّتي تدخل على الأسماء العامة والصفات كما في (الرجل الحسن) وذلك أننا نجد أن (ال) لها صفة إشارية في ضمائر الإشارة الّتي خصصت للجمع كما في (هؤلاء) و(أولاء)، وكذلك في (أولو) جمع (ذو)، وترد في ثلاثة وأربعين موطنا في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَحنُ أُولُوا قُوَّةٍ وأُولُوا بَأسٍ شَدِيدٍ﴾ (النمل:٣٣). كما أن لها صفة موصولية في (اللائي) و(اللاتي) الّتي تستعمل لجمع الإناث، غير أن هذه الصيغ الّتي تتعدد في العربية تستعمل أحيانا للمفرد وأحيانا لجمع المذكر، ويبدو أن هذه الصيغ جميعها –سواء في ضمائر الإشارة أو الموصول– تدور حول عنصر واحد هو (أل) كما تظهر الصفة الموصولية لهذا العنصر في بعض الشواهد الّتي ذكرها النحاة، حيث دخلت (ال) على فعل، كما في قول الشاعر:

ما أنتَ بالحكَمِ الترْضَى حُكومَتُهُ ولا الأصيلِ ولا ذِي الرَّأيِ والجَدَلِ[٣]

أو على شبه جملة كما في الشاهد: مَنْ لا يَزَالُ شَاكِرًا عَلَى الْمَعَهْ[٤]

أو على جملة اسمية، كما في الشاهد:

مِن القَومِ الرَّسولُ اللهِ مِنْهُمُ لَهُمْ دانَتْ رِقابُ بَنِي مَعَدّ[٥]

---

(١) انظر: رابين، **اللهجات العربية الغربية القديمة**، ص١٣٩.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص٢٨٠.

(٣)ابن عقيل عبدالله بن عبدالرحمن(ت٧٦٩هـ، ١٣٨٧م)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الخير: ١٩٩٠ ج١، ص١٣٧. وهو للفرزدق.

(٤) من شواهد مغني اللبيب، مجهول القائل. ابن هشام جمال الدين الأنصاري(ت٧٦١هـ، ١٣٦٠م) ، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: تحقيق : مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٩٨٧.ص٧٢

(٥) **المصدر السابق**.

وقد عدها كثير من النحاة – في هذه الشواهد– بقيّة الموصول (الّذي). ولا يبدو الأمر كذلك؛ ذلك أنه إذا كان العنصر الأصيل في الموصول هو (ذي)، فكيف يحذف ويستغنى عنه بعنصر التعريف (الـ). والراجح أن (الـ) في الضمائر الموصولة هي عنصرٌ موصولي، يعود إلى عنصر إشاري مشترك بين ضمائر الإشارة والضمائر الموصولة، ولا يبعد أن دالة التعريف (الـ) تعود إلى العنصر الإشاري ذاته، وذلك أن أبسط طريقة لتعريف أمر ما، هي الإشارة إليهِ كما سبق وذكر.

وقد تعرّض هذا العنصر الإشاري (أل) لإضافة مكملات إشارية أخرى، إلى أن وصل إلى صورة (اللاء) الّتي تُسهّل إلى (اللاي). كما يظهر هذا العنصر واضحا في (أُولو) جمع (ذو).

ويرى رابين أن (اللاي) تعرضت للتحول والقصر إلى أن وصلت إلى صورة الحرف الواحد (لّ) ثُمّ أضيف إليها (ذي)[1].

وتشير لهجة هذيل إلى مرحلة انتقالية حيث نجد فيها (اللاؤون)، ما يوضح أن (اللاء) استعملت للمفرد. كما تظهر (اللائذون) في لهجة هذيل، بإضافة عنصر إشاري/ موصولي آخر هو (الذال). والذي حدث في الموصول (الّذي) يبدو أنه شبيه بما حدث في (اللائذون).

ويمكن تلخيص هذه التحولات على النحو الآتي:

المرحلة الأولى:

اللاء + ذي ← اللائذي $'all\bar{a}'i + \underline{d\bar{i}} \rightarrow 'all\bar{a}'i\underline{d\bar{i}}$

حيث دُمج غَير واحد من العناصر الإشارية/الموصولية، الأمر الذي يكثر حدوثه في اللهجات السامية كما في ($hallaz\bar{e}h$) العبرية، و(هذول = هذا + أُولاء) في اللهجات العامية في بلاد الشام، ونرى مثل هذا الاجتماع في (مَن ذا الّذي) في القرآن الكريم، وفي النبطية (ك ل + م ن + ذ ي + ي زب ن) =(كل مَنْ الّذي يبيع)[2]، حيث ترد (مَنْ + الّذي).

المرحلة الثانية:

اللائذي ← اللاّيذي $'all\bar{a}'i\underline{d\bar{i}} \rightarrow 'all\bar{a}yi\underline{d\bar{i}}$

وذلك بتسهيل الهمز في (اللاي) الّتي تظهر اسما موصولا للجمع في بعض اللهجات الحجازية، وفي قراءة ورش ﴿والأَي لَم يَحِضْنَ﴾ (الطلاق:٤).

المرحلة الثالثة:

اللايذي ← اللاذي ←اللّذِي (الّذي) $'all\bar{a}yi\underline{d\bar{i}} \rightarrow 'all\bar{a}\,\underline{d\bar{i}} \rightarrow 'alla\underline{d\bar{i}}$

حيث تحولت ($\bar{a}y$) إلى ($\bar{a}$)، حركة مد طويلة ثمّ قُصرّت لمجاورتها اللام المشددة[3]. وبذلك نحصل على (الّذي) الضمير الموصول الشائع في العربية الفصيحة، الّذي ظهر في اليمن والحجاز وعند هذيل، فأقصى الموصول الشائع آنذاك (ذو) الّذي يظهر في لهجة طيِّئ.

---

(١) انظر: رابين، **اللهجات العربية الغربية القديمة**، ص٢٨١.

(٢) انظر: منتصر الحمد، **بناء الجملة الأساسية في النقوش النبطية**،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة اليرموك، ١٩٩٦. ص٥٣.

(٣) انظر: **اللهجات العربية الغربية القديمة**، رابين، ص٢٨١.